نظرات في كتاب «حصاد الزمن الصعب»

حاصد ماهر وبيدر عامر

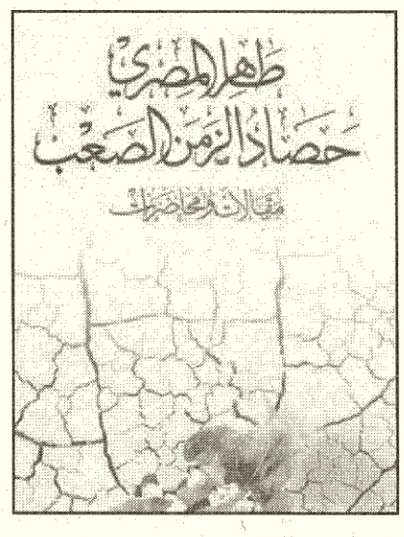

كتب المحرر الادبي

ليس غريباً على كتاب «حصاد الزمن الصعب» الذي اصدره الاستاذ طاهر المصري، وتولت باقة من الساسة والمثقفين اشهاره مؤخراً، ان يحظى بهذا الفيض من الحفاوة والاهتمام لدى قطاع واسع من النخب الاردنية والعربية التي وجدت فيه بيدراً فسيحاً لحصاد خصب من حقول الزمن الصعب.

هذا الكتاب ليس اجندة شخصية تضم خصوصيات صاحبها، ولا كشكول مناسبات يجمع بين دفتيه حشداً من الكتابات والادبيات الموقوتة باوقاتها، والمشدودة الى تواريخها ومناسباتها.. بل هو منظومة صور ومشاهد ولوحات ومواقف واضحة كما تعكسها مرآة «ابي نشأت» المرهفة والمصقولة والثلاثية الابعاد.

ورغم تعدد محتويات هذا الكتاب وتنوع غلال حصاده، الا ان خيطاً سرياً وسحرياً ينظم كل هذا الخليط من المقالات والرسائل والاطروحات، ويعبر عن الاهداف المتوخاة من نشرها، كما يؤشر بدرجة كافية على شخصية صاحبها وكاتبها الذي لا يشبه الا نفسه، ولا يتمثل الا قناعته، ولا يبتغي الا مرضاة ضميره.

نقرر ابتداءً، كي لا نسقط في حومة النفاق، ان للاستاذ المصري عيوبه وذنوبه ونقاط ضعفه واجتهاداته الخاطئة، فهو بشر اولاً، وهو سياسي محترف ثانياً، وهو من اهل النظام القائم في بلادنا، وهذه ثالثة الاثافي.. غير ان هذا الرجل يتمتع بجملة من المزايا والسجايا والفضائل الاخلاقية العالية التي قلما يحظى بها او يسعى لها او يحرص عليها رجال السياسة، والتي قد يبدو مجرد سردها والتنويه بها ضرباً من المديح والرياء.

لعل اول وابرز مواصفات «ابي نشأت»، انه استاذ في فن «السهل الممتنع»، بل صاحب مدرسة سياسية في مضمار التساهل وليس التنازل، والتبسيط وليس التسطيح، والتوفيق وليس التلفيق، والتيسير وليس المسايرة.. ذلك لانه يعبر بدقة وصراحة عما يفكر، ويتعامل بتواضع وبساطة مع الناس بكافة مستوياتهم، ويعتصم بالقوة الناعمة والمزاج الرائق والخلق الحسن والطبع السمح، بديلاً عن المغالبة والمغاضبة والمشاحنة والقوة الخشنة التي غالباً ما يتسلح بها ويعول عليها اقطاب السياسة وارباب السلطة والحكم والنفوذ.

وفي مثال واضح وقريب على فن «السهل الممتنع» يتعلق «بالمجد»، كتب الاستاذ المصري على صدر نسخة كتابه المهداة لنا كلمة الاهداء التالية.. **«الى المناضل، صاحب الموقف والرأي، وقبل كل شيء، الى الصديق والاخ فهد الريماوي الذي تعلمت منه الكثير خلال سنوات طويلة من لقاءات يوم الجمعة، اهدي كتابي هذا، عنواناً للتشارك في الموقف والرأي».**

هذا الثناء العاطر على صحفي غابر ذهب زمانه ورحل خلانه، لا يصدر الا عن الكبار الراسخين في اصالتهم، والواثقين من انفسهم، والمتصالحين مع ضمائرهم، والمتحررين بالمطلق من عُقد العجرفة والغرور والاستكبار.. والا اين هو رئيس الوزراء، او الوزير، او حتى نصف الوزير الذي يحفظ للناس اقدارهم، ويتحلى بسدس هذا القدر من التواضع والاريحية وروح التجرد والانصاف ؟؟

لطاهر المصري من اسمه نصيب، فهو «طاهر» لم يعاقر الفساد، او تمتد يده الى المال العام والكسب الحرام، رغم تقلده اعلى المراتب والمناصب في الدولة لما يقارب نصف قرن.. فالرجل «شبعان من بيت اهله»، بالنظر الى انه سليل البرجوازية النابلسية التي طالما اعتبرت نفسها عميدة الاقتصاد الفلسطيني قبل الغزوة الصهيونية المشؤومة.. ولعل في هذه الخلفية الطبقية «لابي نشأت» ما يفسر اسباب مقارباته اليوسطية ونزعاته البراغماتية وسياساته الليبرالية المعروفة.

هذا الرجل الذي نيّف عن السبعين، ما زال مدمن سياسة ليس له مهنة الا مزاولتها او مغازلتها، ومغرم صحافة ليس كمثله احد في جرأة التصريحات وعمق التحليلات، وعصي على كل مكائد التعتيم والتهميش والنسيان.. فهو شديد المهارة والحذق في تعويم اسمه، وتعظيم صيته وذكره، والبقاء تحت الاضواء، وقيد الحضور الدائم والمتواصل على الصعيدين المحلي والعربي، سواء أكان في سدة الحكم، او في منزله العبدوني بصحبة السيدة الكركية الذكية والوفية «ام نشأت».

مؤكد ان «ابا نشأت» قد اشتهر وسطع نجمه بفضل الرافعة الرسمية التي اوصلته الى اعلى المناصب والمراتب، وبوأته رئاسات مجالس الوزراء والنواب والاعيان.. غير انه لم يركن بالكامل الى هذه الرافعة الظرفية المتقلبة والمخصصة للتحميل والتنزيل على حد سواء، بل اختار ان يهيئ لنفسه حاضنتين مهمتين : قاعدة شعبية، وحتمية عربية، حيث استطاع بناء قاعدة شعبية ونخبوية.. سياسية واجتماعية عريضة، عبر تواصله المباشر مع الناس من مختلف المنابت والطبقات والمحافظات، وحرصه الدائب على تفقدهم شخصياً ومجاملتهم في الافراح والاتراح، ورعاية مصالحهم وتلبية مطالبهم قدر المستطاع، ومن حر ماله في اغلب الاحيان.. وكم داعبته اسرة «المجد» بالقول : لعلك الشخصية الوحيدة التي نسجت عباءتها السياسية بخيوط وعرى شخصية واجتماعية وانسانية، اكثر منها سياسية وايدولوجية.

كما عمد الاستاذ المصري الى تفعيل البعد القومي في شخصيته، وتوسيع وتعزيز دائرة علاقاته وصداقاته ونشاطاته في الوطن العربي، وعلى غير صعيد سياسي وثقافي واعلامي، حتى بات اسماً معروفاً ومرموقاً من المحيط الى الخليج.. ولهذا فليس غريباً ان يتولى وزير الخارجية المغربية السابق، الاديب المعروف محمد بن عيسى كتابة مقدمة «حصاد الزمن الصعب»، وان يشتمل كتاب الحصاد على عدة موضوعات عربية تخص الرئيس حافظ الاسد، والوزير طارق عزيز، والكاتب الكبير محمد حسنين هيكل.

طال المقال، وانحاز الى الكاتب قبل الكتاب، والى الحاصد قبل الحصاد.. غير ان «المجد» تعتزم ارسال دورية استطلاعية- انتقادية- قريباً، لتجوب ارجاء هذا الكتاب/ البيدر، وتتقصى حجم ما ينطوي عليه من القمح والزؤان !!

في حوار مع الاديب المصري الكبير احمد الخميسي :

عهد جمال عبدالناصر كان ازهى عصور الابداع .. فهو لم يصادر اي عمل ابداعي مطلقاً

○ الحركة الثقافية راكدة حالياً ووزير الثقافة الحالي مجرد مدير للثقافة وليس (وزيراً

○ ايام السادات الكئيبة است لكل الانهيارات الثقافية والسياسية والاقتصادية بمصر

○ اللغة تدهورت بصورة مؤسفة مع انها يجب ان تكون مصانة ويفترض ان لا انهان

الاديب المصري الكبير احمد الخميسي هو احد اهم كتاب القصة القصيرة في بلده، وقد بدأ اولى تجاربه وعمره ١٤ عاماً بتشجيع من والده الشاعر عبدالرحمن الخميسي، حيث نشر له اول تجربة قصصية بعنوان «ام نبيل».

الحوار التالي مع هذه القامة الادبية الباسقة يميط اللثام عن تجربته التي انطلقت قبل اكثر من خمسين عاماً، وعن رأيه في العديد من الادباء، مؤكداً انه اختار كتابة القصة القصيرة لانه ليس «طويل النفس».

وعن نفسه يقول : اسمي أحمد أبو الفتح عبد الرحمن الخميسي وهو اسم مركب، من مواليد ١٩٤٨ في حي المنيرة بالسيدة زينب وتحديداً شارع مندرة السكر، وأنا واحد من ١٣ ابنا للشاعر عبد الرحمن الخميسي أنجبهم من أربع زوجات، أطلق على هذا الاسم تيمناً بصديقه رئيس تحرير جريدة المصرى قبل الثورة، ما أذكره عن نشأتي هو السكن في شارع الجيش بالعباسية، كان عمرى لم يتجاوز ٦ سنوات حين اقتحمه البوليس السياسى للقبض على والدى وقام الضابط وقتها بسحب أحد الكتب من مكتبته وأعطاه لأحد المخبرين برفقته مما استفزنى وهجمت عليه لأنتزعه منه فالكتاب ملك لأبى، هذا المشهد ظل عالقاً فى ذهنى ومنحنى شعوراً بعدم الأمان وأن هناك قوة تبطش بكل شيء.

وفيما يلي نص الحوار ..

■ لمن قرأ أحمد الخميسى صبياً؟

– قرأت وقتها لأجاثا كريستى ويوسف السباعى وإحسان عبد القدوس، لكنى تحسست بداية طريقى بكتابين هما الأهم فى تاريخى، كتاب لسلامة موسى ورواية "ذات الرداء الأبيض" لـ"ويلكى كولينز" وهو ما أشعرنى بأهمية الأدب وأثره، وبعد أن انتهيت من مجموعة الكتب على هذا السور خلال ثلاثة أشهر وكلفنى ذلك جنيها واحدا نصحنى بائع الكتب بالانتقال إلى "سور الأزبكية".

■ ما الشخصيات التى تركت أثرا أو بصمة فى حياتك؟

– أول من نشر لى هو والدى عبد الرحمن الخميسى، قصة قصيرة باسم "أم نبيل"، كان عمرى لم يتجاوز ١٤ عاماً وكان لديه وقتها صفحة ثابتة فى جريدة الجمهورية باسم "حصاد الأسبوع"، فنشر القصة وكان فخوراً بأولى كتاباتى، فالدفعة الأولى كانت بيديه على الرغم من كونى وقتها لم أكن أتخيل أن ما أكتبه ينتمى لتصنيف الأدب، فلم يكن لدى طموح فى هذا المجال وقتها أو هدف محدد، حتى نشر لى محمود السعدنى بعدها بعام قصة بعنوان "رجل صبور"، لكن والدى لم يؤثر على بشكل مباشر فنياً فهو شاعر بينما أنا قاص، لكنه أثر فى انسانياً، فعلى سبيل المثال فترة اعتقاله مُنع عنا راتبه وكنت طفلاً صغيراً إلا أننى سألت أمى يوماً ماذا لو كتبت أنا مقالات والدى ونرسلها للجريدة باسمه هل سيعيدون صرف راتبه؟، فكرة أن الوالد كاتب وسجن من أجل قضية كانت الهاماً لى، فقد كان رحمه الله شخصية غير عادية، يكفى أنه اكتشف أكبر موهبتين: يوسف إدريس وسعاد حسني، على الرغم أنه ليس مجال عمله أو تخصصه، كذلك اكتشف شمس البارودى وحسين الشربينى ومجموعة كبيرة من الفنانين.

يوسف ادريس أثر فى فنياً ككاتب قصة أولا، وإنسانيا لنزعته القوية على مساندة شباب الأدباء وتوجيههم وتقديمهم فى "مجلة الكاتب"، كانت جلساتنا معه أشبه بالورش الأدبية لكتابة القصة، الآن يمكن الجزم بأن أول من أبتكرها هو يوسف إدريس، أذكر أنه ذات يوم كنا فى اتحاد الكتاب أنا ويحى الطاهر عبد الله ومحمود مبروك ومجموعة من الأدباء الشبان وقال أنه سيبدأ قصة يكمل جزء منها يحيى ثم ألتقط خيوطها منه لأتمها.

بعد قصة "رجل صبور" التى نشرها لى محمود السعدنى كتبت قصة "استرجاع الآحلام" وذهبت بها إلى "إدريس" فى مجلة الكاتب فطلب منى تغيير كلمة "استرجاع"، وعلى الرغم من أن العنوان سخيف إلا أن شيطانى همس لى وقتها بأنه لن تأتينى فرصة أخرى أحكى عنها لأولادى بأننى اختلفت مع "يوسف ادريس" فقلتها حازمة له "لايمكن أغير العنوان"، نظر إلى وقتها وكأنه فهم مغزى الرفض ونشر القصة فى المجلة مع مقدمة جميلة جداً تبعها العديد من القصص التى نشر لها يوسف إدريس، فهو يصنف ضمن ذلك النوع من البشر الذى يعطى بلاحدود.

نجيب محفوظ بالنسبة لى كان على العكس من يوسف إدريس "عمره ماقال كلمة مفيدة" يمكنك أن تقطعه إلى قطع صغيرة دون أن ينطق بجملة مفيدة، "الثلاثية" كانت بالنسبة لجيلى كالقصر الضخم أمام مانقرأه من روايات وقصص أشبه بالبيوت الصغيرة، ذهلت بعد قرائتها وصار شغلى الشاغل وقتها أن أقابل "محفوظ" ومعى مجموعة كبيرة مثل يحيى الطاهر عبدالله وأمل دنقل، وكان معتادا على الجلوس فى الدور الثانى لكازينو صفية حلمى أمام تمثال ابراهيم باشا، وكنا وقتها شباباً أحوج مايكون للتوجيه ولو حتى لقراءة كتب معينة لكنه لم يفعل أبدا.

عام ١٩٦١ كان هناك سفاح فى الإسكندرية اسمه محمود سليمان، كان مثيراً للرعب والفزع حتى أن محفوظ فى ثلاث ندوات على التوالى كان يسألنا "لو تناولتم قصة هذا السفاح كيف تكتبونها

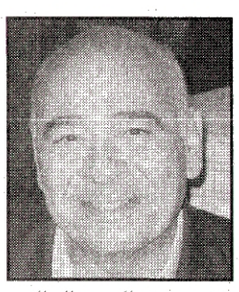

حوار : فاطمة عبد الجليل / القاهرة

على الورق؟!"، كل منا خرج بفكرة، وبعد ٦ أشهر أصدر روايته "اللص والكلاب" عن هذا السفاح، لا أستطيع القول بأنه استفاد بماعرضناه من أفكار فهى تافهة بالنسبة لما كتبه لكن الناس بالنسبة له كانوا مادة للتأمل لا للتواصل الإنسانى والتفاعل.

أقرب شخصيات "محفوظ" لشخصه هو "السيد أحمد عبد الجواد"، تعانى الإزدواجية، محترمة ومحتشمة فى البيت وخارج بيته "مهرج" و"ابن حظ"، وهى فى الأساس شخصية نجيب محفوظ طوال حياته، شخصيتين، واحد طوال النهار يكذب ويجامل فى الحكومة، وطول الليل يهاجمها فى رواياته، لكنه كان محترماً جداً فى سلوكه وتعاملاته مع الناس حتى "الجارسون" فى "مقهى ريش" كان يقف له، وأثناء عمله مع "يحيى حقى" فى "مصلحة الفنون" وكلاهما أدباء لكن يحيى كان رئيسه، فعند دخوله مكتبه يقف نجيب محفوظ احتراماً "فيقول يحيى حقى "مش معقول يانجيب" فيرد عليه "الشغل شغل".

جمال الغيطانى كان صديقى منذ الطفولة، تعرفت إليه بالصدفة، والدتى كانت تعمل فى "هيئة الكتاب" كانت هى المسئولة عن النشر فدخل عليها جمال الغيطانى حاملاً "شوال قصص" لم تكن ناضجة لتصلح للنشر فقالت له "بص يابنى أنا عندى ابن زيك كده بيعك وبيحب يكتب قصص تعالى اتعرف عليه" فجاء جمال إلى المنزل وكان عمرى وقتها ١٤ سنة، كان جمال اجتماعيا عكسى أنا انطوائيا، هو من اقترح على يوماً الذهاب لنجيب محفوظ وعرض مانكتب عليه وأقترح أن نقابله خلال ممارسته لرياضته المفضلة "المشى" من منزله لماسبيرو فنستوقفه فى منتصف رحلته على الكوبرى وبالفعل التقينا به وأخذ منا القصص، ولم يصبر جمال فقال "احنا نروح له بقى الصبح على الكوبري"، حاولت منعه فربما لم يكن لديه متسع لقراءتها لكنه أصر، وعندما التقينا بنجيب محفوظ لمعرفة رأيه فيما نكتب قال لى "يا أحمد لو كان فى درجات للقصة كنت أديك ٩ من ١٠" كانت سعادتى يومها لاتوصف لكن بعد أن عرفت أنه يجامل طوب الأرض فهمت أنه حتى لو قال ١٠/١٠ ليس هناك فارق.

■ لماذا حصرت نفسك فى مجال القصة القصيرة ولم تغامر بكتابة رواية طويلة؟

– سألت "يوسف إدريس" سؤال مشابه فأجابنى إجابة شافية "لماذا هناك سباح لمسافة ١٠٠ متر وسباح لمسافة ١٠٠٠ متر"، الفارق بين كل السباحين "النفس الطويل" وأنا لا أملكه ومع ذلك فللقصة القصيرة تميزها معظم الكتاب العالمين أبدعوا بقصصهم القصيرة ولم يكتبوا فى حياتهم روايات طويلة.

■ هل أنت مع أم ضد تحويل النص الأدبى لعمل سينمائى؟

مع ذلك لأنه يكسب العمل الأدبى رواجاً مادام يبرز العمل ولايشوه، على سبيل المثال نجيب محفوظ كتب ٣ روايات تاريخية وأربع روايات واقعية "زقاق المدق" و"خان الخليلى" و"بداية ونهاية" و"القاهرة ٣٠"، كل هذه الأعمال لم تكن معروفة قبل أن تلتقطها السينما.

■ هل تقدر اللغة الأدبية على رفع قيمة العمل السينمائى فى ظل المستوى المتدنى للغة السينما؟

– اللغة الأدبية مفهوم مستقل بذاته لكن لغة الحوار السينمائى أو الدرامى أو المسرحى مفهوم مختلف، اللغة تدهورت بشكل مزرى وبصورة مؤسفة لأن اللغة وسيط جمالى كالفتاة الجميلة مصانة لايفترض أن تهان بهذه الطريقة، توفيق الحكيم دعا لوجود لغة وسط بين الفصحى والعامية وهو من أرقى كتاب الحوار لكن مقارنة بما نراه الآن من لغة متدنية تنقل معها متفجرات قبح فى المجتمع دون وظيفة فنية فى النص، فما يقدم من قبح فى حوار السينما يقدم مجاناً دون وظيفة.

■ ما أزهى عصور الإبداع فى رأيك؟

– فترة جمال عبد الناصر، فعلى الرغم من كونها فترة اعتقالات لكنه لم يصادر فكر عمل إبداعى، لاحق من له نشاط سياسى لكن لم يلاحق من له نشاط ثقافى، عندما قام ثروت أباظة بكتابة "شيء من الخوف" وتحويله لعمل سينمائى قالوا له "ياريس عتريس ده أنت" فشاهد الفيلم وهو من أفرج عنه من الرقابة، كذلك عندما كتب توفيق الحكيم "بنك القلق" بعد التأميمات اعترض محمد حسنين هيكل وأبلغ ملاحظاته للرئيس لكنه سمح بالنشر، أولاد حارتنا" نشرت فى عهد جمال عبد الناصر، لم أسمع عن عمل تم مصادرته مادام فى حدود الفن والأدب لايمسه شيئا، لكن حين دخوله فى السياسة يقف لهم بالمرصاد.

أيام السادات فترة قاتمة أعتبرها أساس كل الإنهيارات الثقافية والسياسية والاقتصادية التى وقعت فى مصر.

■ ترجمت كتبا وروايات عن الأدب الروسى.. حدثنا عنها؟ وما سبب تمجيد الشباب لأدب "ديستوفيسكى" وميلهم لقراءة مترجمات الأدب الروسى؟ ومن هو أفضل من ترجم عن الروسية؟

– ترجمت كتباً وروايات عن الأدب الروسى منها المجموعة القصصية "رائحة الخبز" و كتاب "نساء الكرملين" و"المعجم الأدبى" وكتاب "مجمل تاريخ الأدب الروسى" وقصص وقصائد للأطفال.

تأثير الأدب الروسى ليس وليد الأمس وليس على الشباب وحدهم، فنجيب محفوظ وهو فى سن التسعين وكان لا يرى ولا يسمع جيداً وعندما سألوه عما يذكره من روايات قال "الحرب والسلام" لتولستوى، يحى حقى كان يقول فى عام ١٩١٨ كنا مجموعتين على المقهى مجموعة أنصار "موباسان" الفرنسى وأخرى "تشيخوف" الروسى، الشباب لهم الحق فى الانبهار بأدب ديستوفيسكى ولكن عليهم أيضاً أن يعودوا لـ"تشيخوف"، وأفضل من ترجم عن الروسية هو د.أبو بكر يوسف الذى ترجم لأنطون تيشخوف من الروسية للعربية.

■ ماذا عن علاقة الأدباء بالسلطة؟

علاقة الأدباء بالسلطة عموماً أمر شائك وبالغ التعقيد، يوسف السباعى لم يكن قلماً فى يد السلطة وإنما كان السلطة نفسها هو لم يكن يروج لأفكار هى فى الأساس مبادئه، نجيب محفوظ أكثر الكتاب تأييداً للسلطة فى مقالاته وأكثر الكتاب هجوماً على السلطة فى رواياته، بعد الثلاثية كل رواياته ضد السلطة "ميرامار"، "السمان والخريف"، "اللص والكلاب"، "الطريق"، كنا شباباً ونشعر بالتخبط فيما نقرأ هل نحاسبه على مقالاته أم رواياته؟ أيهم أصدق؟ فكان رده صريحاً "صدقوا رواياتى".

■ هل كانت مقالات محفوظ كانت دليلاً على عدم مواجهته للسلطة بشكل مباشر؟

على العكس لم يكن هناك أديب أشجع من نجيب محفوظ فى تاريخ مصر هاجم النظام الناصرى فى كل رواياته وبعنف لكنه حسبها بطريقة مختلفة حتى يضمن استمراره فى الكتابة يجب أن يظل بعيداً عن الصدام مع السلطة، لكن هناك كتاب دخلوا فى الصدام بصدر رحب ليثبتوا أنهم ليسوا جبناء كما هو الحال مع "عبد الرحمن الشرقاوى" و"عبد الرحمن الخميسي" و"يوسف إدريس" لكن دخولهم المعتقلات عطلهم عن إبداعهم الأدبى.

■ ما تفسيرك لندرة إنتاج أدب الطفل فى مصر؟

لأنه ليس مربحاً ولايوجد له دعم ويمكن للكاتب أن يضيع سنوات عمره فى الكتابة للطفل دون مقابل، الكتابة للطفل تحتاج لكاتب يحب مايفعل مثل كامل الكيلانى وهانز كريستيان أندرسن.. مشروع مكتبة الأسرة كان مشروعاً ثقافياً جيداً بغض النظر عن من يتولاه.

■ ما رأيك تهمة ازدراء الأديان؟

الأديان لها رب يحميها ليست بحاجة لقوانين تسن لحمايتها الدين لله.. هى أمور من العصور الوسطى انتهت.. لكن هناك تهمة هى أقسى ولايوجد قانون رادع لها إزدراء الإنسان بشر بلا طعام لبلا ماء بلا مأوى فى رأيى إزدراء الإنسان هى جريمة يجب أن يحاسب المسئولون عنها.

■ كيف ترى حال الثقافة المصرية؟

– الحركة الثقافية راكدة أما وزير الثقافة فهو مدير للثقافة وليس وزيراً مثل من قبله من وزراء، لم يأت بجديد، كيف يتحول منزل أبو الموسيقى المصرية سيد درويش فى الأسكندرية إلى حظيرة ماعز وتنشر الصور حتى تتحرك الوزارة ولاحياة لمن تنادى، عندما يهدم منزل أحمد رامى فى حدائق القبة، منزل أحمد عرابى زعيم الثورة العرابية أصبح وكراً لمتعاطى المخدرات ولا حراك من الوزارة إذاً أين وزير الثقافة؟، لم ألمس للوزارة دور حقيقى فى تقديم فكرة لامعة تنذر بالتجديد أو فى القيام بتنفيذ مشروع لافت للأنظار، على سبيل المثال تم الاحتفال بذكرى طه حسين فى المجلس الأعلى للثقافة فلماذا لا نحتفل بها فى مسقط رأسه بقرية طه حسين بمغاغة، بين أهله لكان لها أثر قوى.

رغم ارتفاع اسعار آلات ومعدات الحفر والنقش والرسم

اشرف سعد .. حالة ابداع فلسطينية مدججة بالطموح

رام الله – قدس برس

كثيرون هم من يتقنون واحدة من الفنون الإبداعية كالخط أو الرسم أو النحت، ومثلهم أولئك ممّن يمتازون بجمال الصوت أو القدرة على التلحين، لكن قليلون جدا هم أولئك الذين يجيدون ممارسة كل هذه الفنون مجتمعة سوية.

الفلسطيني أشرف سعد هو واحد من هؤلاء القلة الموهوبين، يمتلك ريشة فنان مبدع وبوصة خطاط محترف وإزميل نحات صبور وصوت عندليب عذب، استطاع رغم قلة الإمكانيات وندرة المشجعين أن يشق طريقه نحو النجاح والتميز في حال إبداع خاصة.

في معمل النحت الصغير خاصّته في قرية المزرعة غرب مدينة رام الله (شمال القدس)، بدأ سعد بالحديث لـ"قدس برس" عن بداية اكتشاف مواهبه؛ فقال "قبل تسع سنوات وعندما كنت طالبا في المرحلة الإعدادية، اكتشفت أنني امتلك موهبة الخط الجميل والرسم، وبقليل من تشجيع ودعم الأصدقاء والأهل، نمت عندي هذه الموهبة، ثم بدأت أتوسع في إطارها واطلع على تجارب الآخرين وأحاول تقليدهم".

ويكمل سعد (٢٢ عاما) وهو منهمك بنحت لوحة للمسجد الأقصى "بعد ذلك وعندما وصلت المرحلة الثانوية شاركت في عدة مسابقات خاصة بالخط العربي نظمتها وزارة التربية والتعليم، حصلت خلالها على المرتبة الأولى لعامين متتاليين على مستوى مدارس الضفة الغربية".

ويتابع "بعد أن أنهيت الثانوية العامة ولم أوفق بالالتحاق بإحدى الجامعات، قررت الانتقال من الاكتفاء بممارسة الخط كهواية إلى مهنة اعتاش منها، وبالفعل بدأت أشق طريقي في هذا المضمار رغم كثرة المنافسين والمحبطين".

وعن الفنون التي يتقنها، يشير سعد لمراسل "قدس برس" إلى أنه يجيد الخط العربي بجميع أنواعه وأشكاله؛ "الرقعة والنسخ والديواني والثلث والفارسي والكوفي" وجميع تفرعات هذه الخطوط، إضافة إلى الرسم الزيتي والرسم على الزجاج والرسم باستخدام الفحم، فضلا عن مقدرته على رسم الوجوه والمناظر الطبيعية والتراثية والزخارف الإسلامية المختلفة.

في هذه الأثناء يتوقف سعد عن العمل قليلا ليحتسي فنجانا من الشاي بعد أن نفض الغبار الذي علق بملابسه وشعره فجعل منه شيخا كبيرا شاب رأسه قبل أوانه، قائلا "أتقن أيضاً النحت على الحجر والجبس والخشب والجرانيت والشايش بأنواعه الحفر الداخلي والبارز والنافر كتابة ورسماً، هذه الأنواع من النحت أتقنتها بغير مساعدة أو تعليم من أحد.. السوق فرض عليّ ذلك.. لا أستطيع رد أي زبون.. المحاولة والتعلم من الأخطاء كان شعاري الذي لا زلت ارفعه حتى هذه اللحظة، أما كلمة لا أعرف فلا توجد في قاموسي".

التلحين والغناء

ولم تتوقف الفنون التي يتقنها سعد عند هذا الحد، بل يمتاز كذلك بجمال الصوت نشيداً وتلاوة للقران على المقامات السبع: الرست والسيكا والنهوند والبيات والكرد والعجم والحجاز، لافتا إلى انه يحمل شهادة في المقامات الصوتية أخذها عن أستاذ مختص في ذلك.

ويتابع "بعد أن أنهي عملي في ساعات المساء أتوجه إلى منزلي وآخذ قسطاً من الراحة، بعدها أذهب إلى مسجد القرية لأعلم بعض الأولاد تلاوة وتجويد القران الكريم".

وعن تجربته في مجال التلحين، أوضح سعد أنه دخل هذا المضمار قبل حوالي خمسة أعوام وكانت له بعض المحاولات، حيث قام بتلحين أربعة أناشيد، هي "قرآن ربي رحمة للعالمين" على مقام "الكرد"، وأنشودة "يا مرشداً قاد بالإسلام إخواناً" من كلمات الشيخ يوسف القرضاوي، وأنشودة "ليس الغريب غريب الشام واليمن" على مقام "البيات"، وأنشودة "الفرقان" التي تتحدث عن الحرب الأخيرة التي شنها الاحتلال على قطاع غزة وهي من كلمات الأسير الكاتب وليد خالد وعلى مقام "الحجاز".

أما عن الاختلافات بين هذه المقامات، فيلفت سعد إلى أن لكل مقام سماته الخاصة التي تطرب الأذن عند سماعه، فبعض المقامات تصلح للكلمات الحزينة كمقام الصبا والنهوند والكرد، وأخرى مناسبة للأفراح والمناسبات السعيدة كمقام "العجم" والذي يستخدم غالبا عند تلحين المدائح النبوية أيضا.

عقبات وتحديات

وفي المقابل، يستعرض سعد بعض المشاكل التي يواجهها أثناء عمله، ومن أبرزها عدم تقدير الزبائن لجهده وإبداعه، وبالتالي عدم سداده أجرته أو اقتطاع جزء منها.

ويشكو سعد أيضاً من عدم توفر آلات ومعدات الحفر والنقش والرسم في الأسواق المحلية، وفي حال توفرها تكون مرتفعة الثمن خاصة الأصلية منها، إضافة إلى النقص الحاد في قطع الغيار عند تلف أو تعطل الأصلية، إضافة إلى عجزه عن توظيف مساعدين له وهو ما يجعله ينفذ جميع الأعمال من الألف إلى الياء بمفرده.

بعض أعماله

وتظهر أعمال سعد بشكل واسع في مدينة رام الله والقرى المجاورة لها، خاصة في المساجد الجديدة والفلل والقصور التي تعود ملكيتها للمغتربين والأثرياء، ويختص سعد في مجال نحت شواهد القبور وكتابة آيات قرآنية على مداخل المنازل وتخطيط لوحات المحال التجارية والهدايا التذكارية والدروع التقديرية، ويعلق قائلا "من المفارقات التي تحصل في عملي أنني أنحت أسماء أصحاب منازل الآخرة (في إشارة للقبور) ومنازل الدنيا، ولو أن الصنف الأخير يتذكر مقامه لأعد العدة لذلك اليوم.

مواهب داخل المعتقل

لم يشكل اعتقال سعد في سجون الاحتلال بداية العام الماضي، عائقاً أمام مواصلة ممارسة هذه الفنون، رغم قلة الإمكانيات والمواد المتوفرة داخل السجن؛ فتراه حيناً مؤذنا ينادي للصلوات الخمس ويصلي بالأسرى؛ فيتلو القرآن بصوت جميل تخشع له القلوب، وتراه أحيانا أخرى ينشد ويغني لهم ويضرب لهم "المواويل" ليخفف عنهم جزءا بسيطاً من معاناتهم.

ويشير سعد في حديثه لـ"قدس برس"، إلى أنه كان يقوم بين الفترة والأخرى بإعطاء دورات خاصة بفنون الخط العربي والزخارف داخل الأسر، إضافة لتخطيط ورسم لوحات خاصة بالأسرى والشهادات التي تمنح لهم عند نجاحهم في الدورات المتنوعة.

كما كان يتخذ من الصابون ونواة الخضار والفواكه مادة خام للنحت عليها وتحويلها إلى تحف وهدايا يرسلها الأسرى لذويهم، إضافة لعمل بعض المطرزات والأشغال اليدوية المتنوعة.

ويتابع "في السجن كان هناك نقص في الخيطان وعدم توفر الكثير من الألوان وهو دفعني أكثر من مرة لنسل خيوط بعض الملابس القديمة لأعيد استخدامها في أعمالي".

ويطمح سعد لإنشاء معرض ومعمل آخر أكبر من معمله الحالي يكون مقرا له يتواصل من خلاله مع الزبائن ومنطلقا للتصدير خارج فلسطين والمناطق المحتلة عام ١٩٤٨، ويتمنى أيضا إنشاء نقابة للخطاطين والنحاتين الفلسطينيين تقوم برعاية مصالحهم أسوة ببقية المهن والحرف والتخصصات.

الشريط الادبي

عشرة دروس من فوكوشيما

■ بدعم من الشبكة الطبية اليابانية العراقية، صدر كتيب بعنوان «عشرة دروس من فوكوشيما»، قد ترجمه الى العربية كل من د. ايوب ابو دية، ود. اسماعيل العطيات، ود. عصام الخطاطبة، وهو يقع في ٧٦ صفحة من القطع المتوسط، ويتضمن ثلاثة فصول اولها بعنوان : «ما هي الطاقة النووية.. وما هي الاشعاعات ؟»، اما الفصل الثاني فهو بعنوان : «ماذا حدث في فوكوشيما ؟ وعشرة دروس نتعلمها، وتندرج تحته عشرة عناوين فرعية وجاء الفصل الثالث بعنوان «القانون الدولي في اطار تخفيض ضرر الكوارث».

وبحسب المترجمين، فان هذا الكتيب بمثابة رسالة من شعب اليابان الذي تضرر وتحمل الاعباء الهائلة التي نجمت عن الكارثة النووية في فوكوشيما رقم/١ التي كانت تديرها شركة طوكيو اليابان «تيبكو»، حيث نجمت الكارثة عن الزلزال العظيم الذي ضرب شرق اليابان، وعن تسونامي او الموجات البحرية الهائلة التي تبعته يوم ١١ اذار ٢٠١١.

ويقول كاتب مقدمة هذا الكتيب، وهو «مساساكي اوهاشي» انه موجه الى جميع الناس حول العالم الذين يهتمون بالتحوط للمخاطر الناجمة عن الطاقة النووية، او تلك التي تنشأ محطات نووية جديدة فيها اليوم، معرباً عن امله ان يتم تسخير هذا الكتيب من قبل مؤسسات المجتمع المدني التي تعمل مع الناس في تلك المناطق المعرضة للخطر، وان يستخدمها كذلك المسؤولون في البلديات والاماكن المحاذية لمناطق المخاطر لاجتناب الكوارث النووية وتقليص حجم الاضرار الناجمة عنها.

ويؤكد الكتيب ان انشاء المحطات النووية في الدول المتأخرة تحوطه المخاطر والمشكلات ومن شبه المحتم ان الحوادث النووية القادمة سوف تحدث في تلك الدول التي تحتضن مفاعلات في طور الانشاء، ملوثة بذلك المناطق المحيطة بها، ومهددة الحياة فيها.

وجدانيات

في ذكرى الزعيم جمال عبد الناصر

■ انصاف قلعجي

ترممّني ذكراكَ.. فأراكْ
في كلّ الوجوهِ الصابرةِ أراكْ
في كلّ الأيدي القابضةِ على الجمْرِ أراكْ
في قناديلِكَ المزروعةِ على دروبنا
أراكْ..
في الشفقِ الدامي ينتظرُ نهايةَ المخاضِ
في أكفٍّ تبتهلُ إلى اللهِ
في صرخاتِ المظلومينَ
تشهقُ في أعماقِ الليلِ
أراكْ..
ترممّني ذكراكَ
فأحيا من جديدْ
كأنّه ذاكَ الحلم.. حلمٌ مرّ
ذات صباً جميل..
هكذا هو.. مرّ

مرّ الحلم العروبي الجميل، كأنّه رفّة عين، شهقة قلب، رعشة ذاكرةٍ تغفو على زمنٍ غابر، لكنّه ترك شروشهُ تنمو في وجداننا..

مرّ حلمٌ ما.. وتلاشى في أشلاء الغروب يحملُ بقايا ما كان في القلب، وفي الروح.

مرّ في صبانا ونحن نعانق حروفَ "وطني حبيبي الوطن الأكبر".. و"لآخر مدى ثوار".

يمرّ العمر، يطوي الأيامَ والشهورَ ليأتي نهاية أيلول مبللا ببقايا دموعٍ معلقةٍ على جدران الذاكرة.. هلْ بقيتْ ذاكرةٌ ما.

مرّ مثل طيف خفيفا خفياً، لكننا أثقلنا قلبه النقي بالأوجاع، والخلافات، والتآمر. وما نزال، يا سيدي، نعيش في عصر عنوانه: الكذب الكثير والدم الكثير.

كم.. قتلناك. وقد مرّ عمرٌ جميلٌ بهيٌّ تحت ظلالك. نرفع قاماتنا أعلى وأعلى، والحرية تتنفس بكل رئتيها، وتهتف: لقد عشنا زمان عبد الناصر، زمان كان كلّ ما حولنا يصدح بثوار ولآخر مدى ثوار.

لك